رجال عـــــرفتهم

(١)

أحمد الشرباصى

هذه نماذج مركزة موجزة لشخصيات إسلامية تشرفت بمعرفتها واختلطت بها عن كثب . . أكتبها للقراء الأعزاء على صفحات البعثة الغراء .

عرفت الأستاذ الشرباصى وهو طالب بمعهد الزقازيق وقرأت له الكثير من أدبياته وخواطره منبثة فى أنهار الصحف . . فتنبأت عن وحى نفسى لهذا النشاط الرشيق البادى للعيان ، مستقبلا سعيدا مشرقا كالشمس فى ضاحية النهار . . وتمنيت من أعماق لوحفظ الله ذلك القلم فكبر ، وفعلا كبر حتى غدا فى الطليعة وسار مع الفجر . . ثم صار الطالب أستاذا وتخرج من الجامعة الأزهرية منذ سنة ١٩٤٥ وصدقت النبوءة وتحققت الأمنية فقد ظفر أستاذنا بالأولية فى الشهادة العالية وفى شهادة التخصص . . وما أحسبه إلا أنه كان كذلك فى جميع سنى دراسته . . وسيكون كذلك فى كل سنى حياته بين محيطه الأزهرى . . تألق إذن فى أفق النبوغ كوكب ، وسطعت فى مشرق العرفان شمس .

هذه هى المعرفة الأولى ، ظلت خفية عن صاحبها نفسه مدة من الزمان ، حتى شاءت مشيئة الله أن أكشف النقاب عنها فى العام الماضى حيث تقابلت معه فى حرم مسجده — بالمنيرة — وكنت قد اختلفت إليه من قبل كثيرا لسماع خطبه الحارة الحية الصادرة من صميم الحياة ، ولكنى — لأمر يراد — أصررت فى هذه المرة على المقابلة الشخصية وجها لوجه فتقدمت مصافحا مسلما ، وظللت واقفا ريثما ينتهى الصحب والتلاميذ من تسليمهم ومصافحتهم . . ثم دست إليه خطابا مغلقا للتعريف بنفسى وللتعارف به خاصة — ذكرت له فيه اسمى وعنوانى وعملى ، وعرضت عليه بعض عقدى النفسية — وما أكثرها عند الطالب الأزهرى — راجيا منه حلا يرضينى وأنا على أبواب النهاية من الحلقة الأخيرة بالأزهر ، فضرب لى الأستاذ موعدا فى الغد فصدقته أو صدقنى الوعد . . فكان بى حفيا ، وأعرب عن استعداده للعناية بشأنى ، والعطف على قضيتى فى شىء من التشجيع الحازم . . فأثنيت عليه مودعا ، فلم يلبث أن جاءنى بمجموعة من مؤلفاته يهديها إلى . . وكانت هذه أول منة روحانية يمتن بها على أستاذ مدرس . وأخذت صداقتنا مجراها ، وسرت باسم الله مسراها حتى أشرفت على القمة تقول للدنيا وللناس لقد كذب شاعركم الذى قال :

نبئت أن المستحيل ثلاثة
الغول والعنقاء والخل الوفى

فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى

وفى الصيف المنصرم كنا نتبادل المكاتبات والرسائل ، والمساجلات الأخوية أهدانى خلالها صورته الكريمة وعندما بدنا دراستنا الجديدة ارتفعت درجة حرارة الصحبة كثيراً فكنا نتعد على المقابلة بالرابطة الإسلامية أو الشبان المسلمين أو المعهد الثانوى أو الإدارة العامة . . وهكذا حظيت من الأستاذ وهو الآلف المألوف بالرعاية والولاية . وما ظنك برجل هو الرقة والأريحية والذوق كله ؟ رجل حلو الشمائل جميل الخلائل ؟ ملء أهابه الظرف واللطف ، والسماحة والبشاشة ، والمروءة والنجدة شخص يفيض نشاطاً ويشتعل ذكاءاً ، ويمتلىء حيوية وقوة وإيمانا ! !